

**الفقر وحيثياته في فلسفة الحكم عند
الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام
(دراسة تاريخية)**

**Poverty and its Aspects in the
Philosophy of Governance According
to Imam Ali bin Abi Talib (PBUH)
(A Historical Study)**

**أ.د. حاتم كريم جياذ
Prof.Dr. Hatem Karim Jiyad**

**جامعة الكوفة / كلية الاداب
University of Kufa/ College of Arts**

.....الفقر وحيثياته في فلسفة الحكم عند الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

الملخص

الصلاة والسلام على اشرف المرسلين ابي القاسم محمد وعلى آله وصحبه المنتجبين الطاهرين الطيبين

السلام على سيدي ومولاي ومولى المؤمنين، امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام قائد الغر المحجلين، من ورد ذكره في قول رب العالمين ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة ٥٥].

عندما تحاول الكتابة عن امير المؤمنين عليه السلام فانك كمن يحاول الغوص في بحر متلاطم الامواج للبحث عن صيد ثمين ولكن لايمكن لك ان تدرك كل ماموجود فيه لسعة البحر وكثرة خيراته، هكذا هو امير المؤمنين مهما كتب عنه سوف تبقى تلك الدراسات قاصرة ولم تصل الى مكنون عظمتة وتقواه وزهده وعدله.

ان محاولة الكتابة عن الجوانب الانسانية في شخصية الامام علي عليه السلام من خلال عهده لمالك الاشر والتمثلة في حثه على محاربة الفقر والذي شكل سابقة في دعوته الى ضرورة رعاية الدولة لحقوق الانسان بغض النظر عن عرقه ودينه ومذهبه بقدر ماهو مواطن له حق العيش الكريم، من المؤكد انها محاولة متواضعة لايمكن من خلالها الاحاطة بكل مايتعلق بالموضوع بسبب التعظيم والاخفاء الذي استهدف كل مناقب الامام علي عليه السلام على يد السلطتين الاموية والعباسية، ولكن هذا لايمنع من السعي الى تتبع كل النصوص الواردة الينا ومعرفة فحواها طلبا لاكتساب الموعظة والأجر ولمعالجة المشاكل الاجتماعية.

من هذا المنطلق ارتأى الباحث اختيار هذا الموضوع الموسوم (المبادئ الانسانية في محاربة الفقر من خلال عهد الامام علي عليه السلام لمالك الاشر).

الخطوة الاولى للموضوع تنقسم على مبحثين ومن الممكن ان يحويا على محاور ان دعت الضرورة الى ذلك، المبحث الاول بعنوان (مفهوم الفقر وانواعه وآثاره الاجتماعية)، اما الثاني فهو (الفقر في فكر الامام علي عليه السلام من خلال عهده لمالك الاشر).

يشكل الفقر احد اهم اسباب تخلف المجتمعات وعدم لحاقها بركب الدول المتطورة ويدفع الى حدوث الكثير من المشاكل التي تقف عائقا امام استقرار الانسان فكريا وماديا، واستبعد ان تخلوا اي دولة من شريحة الفقراء الا ماندر ويعود هذا الامر الى عوامل متعددة سنتطرق اليها من خلال هذا البحث.

أ.د. حاتم كريم جواد.....

لقد اشار الامام علي عليه السلام الى هذه المشكلة بوضوح من خلال اقواله وتوجيهاته ومنها عهده لملك الاشتر وكذلك من خلال افعاله بمحاربته للفقر عندما اصبح خليفة للمسلمين (٣٥ - ٤٠ هـ).

كان ومايزال هذا العهد دستوراً شاملاً لمختلف جوانب الحياة لمن اراد الاستفادة منه من الحكام ويعد منهجاً سليماً لحياة آمنة مستقرة قائمة على العدل والمساواة لذلك حري بكل من يقتدي بالامام علي عليه السلام ان يتخذ منه سبيلاً في الحكم لا ان يكون مجرد شعارات الهدف منها كسب تأييد الناس وعطفهم وفي حقيقة الأمر هو ابعد ما يكون عن مبادئ الامام علي عليه السلام. سنحاول من خلال هذا البحث تسليط الضوء على كل مايتعلق بالفقر في فكر الامام علي عليه السلام سواء بالقول او الفعل لغرض معرفة الآثار الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي ترتبت عليه وبالتالي وضع الحلول اللازمة لمعالجته للنهوض بواقع المجتمع كون دراسة التاريخ تدعونا الى الاستفادة من تجارب الماضي لتجنب المشاكل والخطاء ولضمان استقرار المجتمع في الحاضر ومن ثم الاطمئنان على المستقبل.

سيتم استخدام عدد من المصادر والمراجع والبحوث ذات العلاقة وفي مقدمتها القرآن الكريم ونهج البلاغة شرح ابن ابي الحديد الذي نستخرج منه النصوص المتعلقة بالفقر التي ذكرها الامام علي عليه السلام في عهده لملك الاشتر، يضاف الى ذلك مصادر اللغة لتوضيح معنى بعض المصطلحات والمفردات الواردة في العهد، ويمكن الاستفادة من كتاب (علي وعصره) لجورج جرداق وكتابه الآخر (الامام علي صوت العدالة الانسانية) وكذلك كتاب محمد جواد مغنية (في ظلال نهج البلاغة)، وايضا كتاب (مجمع البحرين) للمؤلف فخرالدين الطريحي وتحقيق السيد احمد الحسيني، كذلك يمكن الرجوع الى كتاب (اخلاقيات الامام علي امير المؤمنين عليه السلام)، يضاف الى ذلك ماكتبه محمد عبد الساعدي عن (ملامح القيادة الناجحة في ضوء منهجية الامام علي بن ابي طالب عليه السلام) مقارنة دراسية في سيكولوجية السلوك التنظيمي المعاصر، وكتب جميل كمال عن اسرار القيادة عند امير المؤمنين علي بن ابي طالب فيمكن الاستفادة منه ايضا في البحث، اضافة الى مصادر ومراجع اخرى لايسع هذا الملخص لذكرها وانما ستوسع في ذكرها عند اتمام البحث ليكون فيه قرينة الى الله سبحانه وتعالى بمشيئته.

الكلمات المفتاحية: الفقر، فلسفة الحكم، القيادة.

Abstract

May peace and blessings be upon the most honorable of messengers, Abu Al- Qasim Muhammad, and upon his family and chosen, pure and good companions. Peace be upon my master, master, and master of the believers, the Commander of the Faithful, Ali bin Abi Talib (peace be upon him), the leader of the beautiful tribes. When you try to write about the Commander of the Faithful (peace be upon him), you are like someone trying to dive into a sea of choppy waves in search of a valuable catch, but you cannot comprehend everything. In him is the sting of the sea and the abundance of its bounties.

This is how the Commander of the Faithful is. No matter what is written about him, these studies will remain incomplete and do not reach the essence of his greatness, piety, asceticism, and justice. From this standpoint, the researcher decided to choose this topic entitled (Poverty and its Reasons. In the Philosophy of Governance according to the Commander of the Faithful Ali, peace be upon him, a historical study) The initial plan for the topic is divided into three sections. The first is entitled (The concept of poverty and some of the terms associated with it), while the second is titled (The causes that lead to poverty). Poverty and ways to treat it in the thought of Imam Ali (peace be upon him) and the last sections are entitled (The steps that Imam Ali (peace be upon him) applied to avoid poverty.

Then we reached the most important results with God's help. First: Imam Ali's (peace be upon him) vision of poverty represents a unique model One of its kind yet The Messenger of God (may God bless him and his family and grant them peace) within the scope of the history of governance and rulers. In Islam Second: The Imam (peace be upon him) is considered the first Muslim whose name is mentioned in the Qur'an. He cared and gave alms to them during prayer in an incident in which no other Muslim preceded him, and he also provided for the poor. In the Almighty's saying: (Your guardian is only Allah and His Messenger and those who believe who establish prayer.

And they pay zakat while bowing. Third: The Imam (peace be upon him) devoted most of his attention to caring for the poor when he assumed the caliphate..

By finding ways to improve the situation of the poor and take care of them. Fourth: His commandments, speeches, and directives (peace be upon him) in general, and those related to poverty in particular, constituted a A constitution to organize life if rulers and their workers benefited from it in different times There remained poor people on the face of the globe, but unfortunately they became slogans to shout about. Claiming loyalty to the Commander of the Faithful, peace be upon him, without applying it. Fifth: Imam Ali (peace be upon him) is considered the most honorable ruler in history, as he did not monopolize With money The Muslim treasury, and what happened to it extinguishing the lamp that we referred to in search It is evidence of his wise policy of rationalizing consumption to avoid poverty Produce.

Sometimes extravagance Sixth: Imam Ali (peace be upon him) identified the causes leading to poverty and took measures necessary to avoid it since he assumed the caliphate and chose Kufa as the capital, which confirms his future economic vision for matters, which raises the state's economies. Thus, it becomes a rich country capable of improving the income level of individuals Reducing the emergence of the problem of poverty

Key words : poverty, philosophy of governance , leadership

.....الفقر وحيثياته في فلسفة الحكم عند الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

المقدمة

الصلاة والسلام على اشرف المرسلين ابي القاسم محمد وعلى آله وصحبه المتتبعين الطاهرين الطيبين. السلام على سيدي ومولاي ومولى المؤمنين، امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام قائد الغر المحجلين، من ورد ذكره في قول رب العالمين ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥].

عندما تحاول الكتابة عن امير المؤمنين عليه السلام فانك كمن يحاول الغوص في بحر متلاطم الامواج للبحث عن صيد ثمين ولكن لايمكن لك ان تدرك كل ماموجود فيه لسعة البحر وكثرة خيراته، هكذا هو امير المؤمنين مهها كتب عنه سوف تبقى تلك الدراسات قاصرة ولم تصل الى مكنون عظمتهم وتقواه وزهده وعدله.

ان محاولة الكتابة عن الجوانب الانسانية في شخصية الامام علي عليه السلام من خلال عهده لملك الاشتر والمتمثلة في حثه على محاربة الفقر والذي شكل سابقة في دعوته الى ضرورة رعاية الدولة لحقوق الانسان بغض النظر عن عرقه ودينه ومذهبه بقدر ماهو مواطن له حق العيش الكريم، من المؤكد انها محاولة متواضعة لايمكن من خلالها الاحاطة بكل مايتعلق بالموضوع بسبب التعظيم والاخفاء الذي استهدف كل مناقب الامام علي عليه السلام على يد السلطتين الاموية والعباسية، ولكن هذا لايمنع من السعي الى تتبع كل النصوص الواردة الينا ومعرفة فحواها طلبا لاكتساب الموعظة والأجر ولمعالجة المشاكل الاجتماعية.

من هذا المنطلق ارتأى الباحث اختيار هذا الموضوع الموسوم (الفقر وحيثياته في فلسفة الحكم عند امير المؤمنين علي عليه السلام دراسة تاريخية).

الخطة الاولى للموضوع تنقسم على ثلاثة مباحث، الاول بعنوان (مفهوم الفقر وبعض المصطلحات المرتبطة به)، اما الثاني فيحمل عنوان (الاسباب المؤدية للفقر وسبل معالجته في فكر الامام علي عليه السلام) وآخر المباحث بعنوان (الخطوات التي طبقها الامام علي عليه السلام لتجنب الفقر)، ثم توصلنا لاهم النتائج بعون الله.

سبب اختيار الموضوع

يشكل الفقر احد اهم اسباب تخلف المجتمعات وعدم لحاقها بركب الدول المتطورة ويدفع الى حدوث الكثير من المشاكل التي تقف عائقا امام استقرار الانسان فكريا وماديا، وأستبعد ان تخلوا اي دولة من شريحة الفقراء الا ماندر ويعود هذا الامر الى عوامل متعددة سنتطرق اليها من خلال هذا البحث.

لقد اشار الامام علي عليه السلام الى هذه المشكلة بوضوح من خلال اقواله وتوجيهاته ووصاياه لعماله وكذلك من خلال افعاله بمحاربته للفقر عندما اصبح خليفة للمسلمين (٣٥ - ٤٠ هـ) وقد ورد بعض مما يتعلق في الفقر في عهد الامام علي لملك الاشر.

كان وما يزال هذا العهد دستوراً شاملاً لمختلف جوانب الحياة لمن اراد الاستفادة منه من الحكام ويعد منهجاً سليماً لحياة آمنة مستقرة قائمة على العدل والمساواة لذلك حري بكل من يقتدي بالامام علي عليه السلام ان يتخذ منه سبيلاً في الحكم لا ان يكون مجرد شعارات الهدف منها كسب تأييد الناس وعطفهم وفي حقيقة الأمر هو ابعد ما يكون عن مبادئ الامام علي عليه السلام.

سنحاول من خلال هذا البحث تسليط الضوء على كل ما يتعلق بالفقر في فكر الامام علي عليه السلام سواء بالقول او الفعل لغرض معرفة الآثار الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي ترتبت عليه وبالتالي وضع الحلول اللازمة لمعالجته للنهوض بواقع المجتمع كون دراسة التاريخ تدعونا الى الاستفادة من تجارب الماضي لتجنب المشاكل والاطمئنان على المستقبل.

.....الفقر وحيثياته في فلسفة الحكم عند الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

«المبحث الأول»

مفهوم الفقر وبعض

المصطلحات المرتبطة به

الفقر لغة: الفقر بفتح الفاء وسكون القاف مرة واخرى بضم الفاء وسكون القاف ومعناها ضد الغنى ورجل فقير من المال وقد فقر بفتح الفاء وضم القاف، فهو فقير، والجمع فقراء، والفقراء افضل حالا من المساكين، وقيل الفقير الذي لاشئ له، والمساكين الذي له بعض مايكفيه، (وهنا جاء المعنى معكوسا)، وجاء في قول لعالم اللغة الفراء (ت ٢٠٧ هـ) بخصوص قول الله عز وجل ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ....﴾ الفقراء: هم اهل صُفَّة النبي ﷺ كانوا لا عشائر لهم فيلتمسون الفضل في النهار ويأوون الى المسجد، وقال: المساكين الطوافون على الابواب، وروي عن الشافعي انه قال: الفقراء الضعاف الذين لاحرفة لهم، واهل الحرفة الضعيفة التي لاتقع حرفتهم من حاجتهم موقعا والمساكين السُّؤال ممن لهم حرفة تقع موقعا ولا تُغنيهم وعيالهم، بينما قال الازهري (ت ٣٧٠ هـ) والفقير اشد حالا عند الشافعي، قال ابن عرفة (ت ٨٠٣ هـ)، الفقير عند العرب هو المحتاج، قال تعالى: ﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ اي انتم المحتاجون اليه، اما المسكين فهو الذي اذله الفقر^(١).

الفقر اصطلاحا: هو عدم امتلاك الانسان مايكفيه من المال مع عدم قدرته على الكسب والعمل مما يسبب عدم استطاعته تلبية متطلبات حياته اليومية الاساسية كالمأكل والمشرب والملبس وممارسة حقه في التعليم وغيرها.

والفقر على وفق المنظور الاقتصادي: هو العجز عن اشباع الحاجات الاساسية الضرورية ويعني انعدام الحيلة، وانعدام القدرة على التعبير، مما يجد من قدرة الفقير على الاختيار والاستفادة من الفرص، او هو عجز موارد الفرد المالية عن الوفاء بحاجاته الاقتصادية^(٢).

اما في قواميس اللغة الانكليزية فقد ورد معنى الفقر:

Poverty - poor: he has a tiny incom and lives in great poverty^(٣).

ترجمة النص: (الفقير هو الذي يكون دخله قليل ويعيش في فقر مدقع).

أ.د. حاتم كريم جواد.....

اما خط الفقر يعني مقياس الفقر حينما يكون الانسان تحت هذا الخط بشكل رسمي على وفق المقاييس الدولية.

الفاقة: هي الفقر والحاجة، فيقال عاش في فاقة اي اشتدت به الحاجة فدفعته للسرقة، وفي معنى آخر هي ضيق الحال، اذ ورد في الحديث النبوي الشريف عن النبي ﷺ قوله: «من فتح على نفسه بابا من السؤال من غير فاقة نزلت أو عيال لا يطيقهم فتح الله عليه ابواب الفقر من حيث لا يحتسب»^(٤).

الحرمان: في اللغة المنع وعدم النماء وهو على انواع فمنه الحرمان العاطفي وهذا ما يحدث بين الابوين وذريتهم احيانا او الأخوة او الأزواج وزوجاتهم لأسباب مختلفة، والحرمان المادي حينما يحرم الموصى وارثا او اكثر من حقوقه في تركته او استغلال اموال اليتامى واكلها بدون وجه حق.

مراتب الفقر:

اولا: الفقر المادي وهو على انواع:

❖ الاملاق: وهو المسكين الذي لا يملك قوت يومه، وهو الفقر الشديد، ومن هو بهذه المرتبة يحتاج الى المساعدة بدون ادنى شك، ويقتضي ان تقوم الدولة بواجباتها تجاه هكذا شريحة في المجتمع، لان عدم الالتفات اليها سوف يؤدي الى عواقب وخيمة على المجتمع وقد ورد مصطلح الاملاق في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الاسراء: ٣١]، وفحوى هذه الآية فيه تحذير من ظاهرة كانت سائدة في عصر ما قبل الاسلام وهي قتل الاولاد وعلى الاغلب البنات منهم مخافة الفقر الشديد والجوع، فجاء نهي الاسلام عن هذه الظاهرة بضمان معالجة المشكلة المزعومة بالتعهد الالهي بتوفير الرزق^(٥).

واكثر من ينطبق عليهم لفظ الاملاق هم الارامل والايتام الذين لا معيل لهم، ومن كبار السن والعاجزين عن العمل، وبقية الناس يوم المسبغة اي المجاعة حسب تعبير الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة الذي وصف حالهم بالقول: (..... من ذوي العيال والمجاعة مصيبا به مواضع الفاقة والخلاّت)^(٦).

❖ الفقر المدقع: وهو الفقر المؤثر الذي يجلب لصاحبه الذل وهو لا يختلف كثيرا عن الاملاق

.....الفقر وحيثياته في فلسفة الحكم عند الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

❖ **الفقران:** يعني اجتماع الفقر مع كثرة العيال.

❖ **العالة:** وهو الشخص الذي يعيش عائلة على الآخرين من دون ان يكون مضطرا لذلك احيانا وانما لكسله وعدم تكليف نفسه عناء العمل والكد على نفسه.

ثانيا: الفقر الفكري:

وهو باعقادي قصور الانسان في التزود بالعلم والمعرفة مع كونها تحت متناول يده غالبا ولكنه لم يسعَ لذلك جهلا منه بفائدها ودورها في رقي فكر الانسان وسموه، وفي احيان اخرى لعدم توفر فرص التعليم لاسباب شتى مما يؤثر سلبا على المستوى الثقافي للمجتمع ويسهم في انتشار الجهل مما يشكل عائقا امام تطور المجتمعات لان العلم هو السبيل الوحيد للارتقاء والوصول الى مصاف الدول المتقدمة التي تفرض ارادتها غالبا على الدول الاخرى الاقل تطورا فتصبح الاولى منتجة والثانية مستهلكة وبالتالي اصبح للعلم تأثير كبير في حياة الشعوب وفي تقرير مصيرها ومكانتها بين الشعوب الاخرى.

وقد حث القرآن الكريم على طلب العلم في مواضع متعددة، اذ نزلت اول آية وهي تحث على القراءة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ...﴾ [العلق: ١]، وجاء في فضل العلم والعلماء قوله تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩] وميز الله سبحانه وتعالى العلماء عن غيرهم بخشيتهم منه اذ قال في محكم كتابه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ وهذا دليل اثر العلم فيهم مما عزز ارتباطهم الوثيق بالله عز وجل.

والعلماء اكثر قربا من غيرهم الى الله سبحانه وتعالى واكثر استفادة وادراكا واتعاضا واعتبارا بالامثال التي يسوقها الله في كتابه المجيد، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

كذلك ان العلماء اكثر تأثرا بكلام الله عز وجل واسرع استجابة له واعظم خشوعا مما يجعلهم اكثر تسليما لارادة الله، قال تعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الاسراء ١٠٧ - ١٠٩].

أ.د. حاتم كريم جواد.....

وقد اشار الامام علي عليه السلام الى الفقر الفكري او كما اطلق عليه الامام بالعقلي بقوله «لاغنى كالعقل، ولا فقر كالجهل»^(٧)، فالجهل هو حرمان من العلم والثقافة وقد يؤدي الى الفقر المادي، وفي قول آخر قال عليه السلام: «اكبر الفقر الحمق»^(٨) في اشارة منه الى الفقر الفكري والوعي والرشد.

ويأتي الفقر الديني والعقائدي في اطار الفقر الفكري وقد نوه اليه نبينا الكريم ﷺ في قوله «الفقر سواد الوجه في الدارين»^(٩)، والمقصود هنا الفقر في الجانب الديني والاعتقادي والمثل الاخلاقية العليا، وهي السبب في خسران الدنيا والآخرة، فان الفقير في الجانب الديني لا يتورع عن ارتكاب السرقات ومختلف الجرائم والموبقات.

ثالثا: الفقر الروحي والاخلاقي:

لقد تجسد هذا النوع من الفقر في قول الامام علي عليه السلام: «اكبر البلاء فقر النفس»^(١٠) و«شر الفقر فقر النفس»^(١١).

فالفقر على وفق ماتقدم وازافة عليه له معاني ودلالات كثيرة لا يمكن حصرها في الجانب المادي كما هو شائع بين الناس، فمن الممكن ان تكون غنيا ولكنك محروم من تمام الصحة وتفتقر اليها وبذلك سوف تعيش تعيشا مهموما تتمنى ان تبذل كل مالدك من اموال في سبيل استعادة صحتك ان كنت مصابا بمرض يصعب الشفاء منه ولكن ذلك لم يتحقق لك.

وقد يكون الانسان غنيا ولكنه فقير جاء وسمعة نتيجة لسلوكياته غير المنضبطة في المجتمع فيكون بذلك فاقد لابسط قيم التعايش السليم مع الآخرين ويحكم على افراد اسرته والمتعلقين به بالا حباط والشعور بالعزلة.

الفقر في مفهوم الامام علي والائمة الاطهار عليهم السلام ورد في المأثور عن نبينا الكريم ﷺ واثمتنا الاطهار عليهم السلام العديد من الاحاديث والقصص التي توضح معنى الفقر وانواعه وآثاره وكيفية معالجته، وقد اخذت حيزا كبيرا في المؤلفات التي وصلتنا من كتب الحديث والسيرة وبعض الكتب التاريخية.

فقد روى الامام الصادق عليه السلام حديثا ان امير المؤمنين عليه السلام قد مرض في يوم من الايام فزاره اخوانه وخاطبوه ليطمأنوا على صحته: كيف نجدك يا امير المؤمنين؟ قال لهم: بِشْرُ،

.....الفقر وحيثياته في فلسفة الحكم عند الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

فقالوا ماهذا كلام مثلك، فقال ان الله يقول: ﴿وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾، فالخير الصحة والغنى والشر المرض والفقر^(١٢).

لذلك عندما يتلى الله سبحانه وتعالى بعض البشر بالفقر لغاية هي اختبار صبرهم، فهل يكفروا ام يصبروا على ذلك، فقد ذكر نبينا الكريم ﷺ حوارا بين الله سبحانه وتعالى وسيدنا ابراهيم عليه السلام: «خلقتك وابتليتك بنار نمرود فلو ابتليتك بالفقر ورفعت عنك الصبر فما تصنع؟ قال ابراهيم: يارب، الفقر الى اشد من نار نمرود، قال تعالى فبعضني وجلالي، ما خلقت في السماء والارض اشد من الفقر، قال يارب: من اطعم جائعا فما جزاؤه؟ قال: جزاؤه الغفران لو كانت ذنوبه تملأ ما بين السماء والارض، قال ابراهيم: ولولا رحمة ربي على فقراء امتي كاد الفقر يكون كفرا»^(١٣).

ولشدة وطأة الفقر دعى الامام زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام ان يجنبه اياه ولا يتليه به، حيث قال «اللهم لا طاقة لي بالجهد، ولا صبر لي على البلاء، ولا قوة لي على الفقر، فلا تقتر علي رزقي، ولا تكلني الى خلقك، بل تفرد بحاجتي، وتول كفايتي، وانظر الي في جميع اموري، فأنت ان وكلتني الى نفسي عجزت عنها، ولم اقم مافيه مصلحتها، وان وكلتني الى خلقك تجهموا لي، وأن الجأتني الى قرابي حرموني، وان اعطوني اعطوني نكدا، ومنوا علي طويلا، وذموا كثيرا، فبفضلك اللهم فأغني، وبعضمتك فانعشني، وبسعتك فابسط يدي، وبما عندك فاكفني»^(١٤).

وفي قول لأمر المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام: «الفقر يُخرس الفطن عن حجته، والمقل غريب في وطنه، والغنى في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة، والقناعة مال لا ينفد، الفقر الموت الأكبر، ما احسن تواضع الاغنياء للفقراء طلبا لما عند الله، واحسن منه تيه الفقراء على الاغنياء اتكالا على الله»^(١٥).

وفي قول للامام علي لأبنة الامام الحسن عليه السلام: «لاتلم انسانا يطلب قوته فمن عدم قوته كثرت خطاياه، يابني الفقير حقير (يقصد الامام بهذا المصطلح حسب اعتقادي بأن الفقير حقير بنظر الناس) لا يُسمع كلامه، ولا يُعرف مقامه، لو كان الفقير صادقا يسمونه كاذبا ولو كان زاهدا يسمونه جاهلا، يابني من ابتلى بالفقر فقد ابتلى بأربع خصال: الضعف في يقينه، والنقصان في عقله، والرقعة في دينه،.....، فنعوذ بالله من الفقر»^(١٦).

أ.د. حاتم كريم جواد.....

وفي اشارة صريحة من الامام علي عليه السلام، حذر الناس من الحرص الشديد على الأموال والتقتير على النفس والأهل مع الغنى والسعة وبالتالي تترك هذه الاموال للغير يتمتعون بها^(١٧).

ويذكر ان اشد حسرة على الانسان في يوم القيامة حينما يترك امواله لغيره يتمتعون بها دون حساب في الوقت الذي من ملكها في الدنيا تركها وغادر وسوف يحاسب عليها. وما اثار استغراب الامام علي عليه السلام هو الشخص البخيل الذي يستعجل الفقر الذي منه هرب، ويفوته الغنى الذي اياه طلب، فيعيش في الدنيا عيشة الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الاغنياء بالفقر لاي يعني عدم امتلاك الاموال، بل هو الحرمان من التمتع بها عند توفرها وعدم استثمارها في قضاء حوائج الناس وقد ورد في الأثر وصية لقمان عليه السلام لأبنه جاء فيها: «اعلم يا بني اني ذقت الصبر وانواع المرفلم ارَ أمر من الفقر، فأن افتقرت يوما فأجعل فقرك بينك وبين الله، ولا تحدث الناس بفقرك فتهون عليهم»^(١٨).

وفي هذه الوصية اشارة واضحة الى ضرورة ان يكون الانسان صبورا، كتوما لايبيع بفقره لأحد لأن ذلك سوف يقلل من هيئته ويستصغره ضعاف النفوس ممن يرون في الغنى مقياس لسعادة الانسان وكبريائه في الدنيا وينسون بأن السعادة الحقيقية هي في الآخرة. وورد عن الامام الصادق عليه السلام ان الله سبحانه وتعالى يلتفت يوم القيامة الى فقراء المؤمنين شبيها بالمعتذر اليهم فيقول: وعزتي وجلالي ما فتقرتكم في الدنيا من هوان بكم علي، ولترون ما اصنع لكم اليوم، فارفع هذا السجف فانظر الى ما عوضتك من الدنيا، قال: فيرفع فيقول: ما ضرني ما منعتني مع ما عوضتني^(١٩).

.....الفقر وحيثياته في فلسفة الحكم عند الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

«المبحث الثاني»

الاسباب المؤدية للفقر وسبل

معالجته في فكر الامام علي عليه السلام

يعد الفقر من المشاكل الكبيرة التي تواجه المجتمعات لما يحدثه من ارباك في حياة الناس وآثاره السيئة على نفسية الفرد، فتؤدي الى شعوره بالنقص وخيبة الامل في تحقيق طموحه على مختلف الاصعدة وبالخصوص عندما عندما يعيش في مجتمع تتفاوت فيه مستويات المعيشة فيرى من هو اغنى منه ويتنعم بالاموال.

لقد ادرك الامام علي عليه السلام الآثار التي تترتب على الفقر وأخذ يفكر بتشخيص الاسباب لغرض وضع الحلول المناسبة لهذه المشكلة وخاصة بعد ان تسنم منصب الخلافة وشعر بأنه امام مسؤولية دينية وانسانية واخلاقية لذلك حرص على ضرورة اتباع افضل الخطوات وحشد الهمم، لذلك سنركز في هذا المبحث على توضيح ذلك.

اسباب الفقر

للفقر اسباب متعددة، حسب تقديري اذكر منها:

اولاً: قلة واردات الدولة:

وهذه مشكلة كبيرة تتعرض لها الدول ذات الدخل المحدود نتيجة لعدم امتلاكها المقومات الكاملة للنهوض بالواقع الاقتصادي وبالتالي تصبح عاجزة عن تحقيق متطلبات افرادها، على سبيل المثال يتحكم موقع الدولة في قوة الدولة او ضعفها الاقتصادي فيها اذا لو كانت لا تمتلك اي ثروة كالنفط أو المعادن الأخرى فتلجأ الى الاعتماد على موارد اقتصادية اخرى لا تكفي لتأمين احتياجات مواطنيها من رواتب وغيرها من متطلبات، وبالتالي لا تعطي المساحة الكافية للدولة للتحرك من اجل تحقيق التطور المنشود في مؤسساتها المختلفة ومنها الصحية على سبيل الفرض، مما يؤدي الى ضعف الدولة في تقديم الخدمات في هذا الجانب، وبالتالي ينسحب ذلك على صحة المجتمع وهذا بحد ذاته يعد من اخطر انواع الفقر الذي يصب الانسان، لأنه يصبح عاجزاً عن تأمين احتياجاته من الخدمات في الجانب الصحي نتيجة لعدم قدرة الدولة على تقديمها بنسبة كبيرة تتلائم مع متطلبات الانسان. وهناك دول عربية ينطبق عليها هذا الوصف كشاهد حديث على كلامي ومعروفة لدى القارئ وبالتالي يبقى

أ.د. حاتم كريم جواد.....

الموقع الجغرافي من العوامل المهمة والأولية الذي يتحكم بقوة الدولة الاقتصادية ومكانتها بين الدول الأخرى.

ثانيا: تقصير الدولة في استغلال مواردها:

الأمر هنا معكوس تماما، فقد تمتلك الدولة كل مصادر الثروات ولكنها لم تسعى الى استغلال هذه المصادر على اكمل وجه لأسباب متعددة منها مايتعلق بحكام الدولة نفسها الذين يسعون الى الاستئثار بنسبة كبيرة من الاموال التي تصل الى خزينة الدولة والاستحواذ عليها بطرق غير مشروعة تحت طائلة القانون الذي يجبرونه لمصالحهم بالالتفاف عليه بشتى الطرق وبالتالي يصبح همهم هو مصالحهم الشخصية متناسين بذلك مصير شعوبهم الذين ينتظرون منهم تقديم ما هو افضل، والسبب الآخر قد يكون مرتبطا بعدم مهنية واهلية رجال الدولة الذين يصلون الى المناصب الادارية بدون استحقاق وبذلك تكون خططهم غير مدروسة مما يكتب عليها الفشل في نهاية المطاف.

ثالثا: البطالة:

تعد البطالة من اهم العقبات التي تؤثر على الدولة تأثيرا مباشرا، اذ تشعر بانها عاجزة عن توفير فرص العمل لابنائها نتيجة لقلّة وارداتها وعدم قدرتها على النهوض بالقطاع الحكومي والخاص مما يؤدي الى عجزها عن استغلال طاقات الشباب ومن جراء ذلك يشعر هؤلاء بالاحباط لعدم قدرتهم على تحقيق مكاسب مادية ما يؤدي الى ارتفاع نسبة الفقر في المجتمع.

رابعا: تدني مستوى الرواتب واجور العمال:

عندما تكون واردات الدولة قليلة و لا تتلائم مع مصروفاتها فسوف تسعى الى تقليل رواتب موظفيها يقابلها انخفاض في اجور العمال في القطاع الخاص مما يسبب في انخفاض دخل الموظفين والعمال، مما يزيد من فرص ازدياد الفقر في المجتمع.

خامسا: ارتفاع نسبة الزيادة في السكان يقابلها انخفاض في النمو الاقتصادي

وهذا من الاسباب الجوهرية لزيادة نسبة الفقر في المجتمع اذ لم تكن هناك موازنة بين الارتفاع الحاصل في عدد السكان يقابلها تعثر الاقتصاد، حينها يؤثر ذلك على مستوى دخل الفرد بشكل سلبي مما يخلق حالة من عدم اطمئنان الفرد على قوته على المستوى البعيد اذ لم

.....الفقر وحيثياته في فلسفة الحكم عند الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

تضع الدولة خططا تحاول من خلالها الحد من حالة التضخم في الاقتصاد وخلق موازنة بين عدد السكان والنمو الاقتصادي.

سادسا: عدم ترشيد الاستهلاك على وفق مايرد للفرد من واردات:

وهذا الامر يتطلب من الدولة نشر الوعي بضرورة ان يعمل الفرد موازنة بين مدخلاته ومصروفاته من اجل ان لا يحدث خلل في الجانب الاقتصادي على المدين القريب والبعيد، فلا يكون مبذرا حد التبذير في الجوانب الكمالية والغير ضرورية وانما بالمعقول، ويحاول استغلال موارده بالشكل الامثل.

سابعا: عدم التوزيع العادل للثروات:

ويحدث هذا الأمر عندما تتبع الدولة سياسة غير عادلة تجاه مواطنيها فتمنح شريحة معينة لأسباب مختلفة امتيازات كبيرة يجعلها تستأثر بالرواتب والأموال في الوقت الذي تحرم شرائح اخرى من هذه الامتيازات، فيؤدي ذلك الى التفاوت الطبقي والشعور بالحرمان مما يؤدي الى استشراف ظاهرة الفقر بين فئات المجتمع وهذه سياسة غير عادلة ولا تحظى برضا الله سبحانه وتعالى.

اسباب الفقر حسب وجهة النظر الاسلامية:

الدين الاسلامي نظام شامل للحياة ومن خلال تطبيق شرائع هذا الدين يمكن للإنسان ان يعيش سعيدا بعيدا عن كل هموم الحياة، اذ اقر الاسلام مجموعة مبادئ تناولت مختلف جوانب حياة الفرد وأمنت له طريقا سالكا سليما اذا ماالتزم بهذه المبادئ على اكمل وجه، فقد حث الدين على الالتزام بالمبادئ والشرائع التي تجعل من الحياة مستقرة هادئة، ومنها مايتعلق بالفقر واسبابه وكيفية معالجته، ومن ابرز ما جاء في الاسلام عند تناوله موضوع اسباب الفقر من توجيهات نذكر مايلي:

❖ امتناع الناس اداء الزكاة لمستحقيها:

قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، فتعد الزكاة ركنا مهما من اركان الاسلام وقد قرنها سبحانه وتعالى مع الصلاة، فالصلاة حق الله على العبد والزكاة حق الفقراء على الاغنياء بأمر من الله سبحانه وتعالى.

أ.د. حاتم كريم جواد.....

والزكاة في اللغة تدل على النماء والزيادة والطهارة، ونقل اللغوي ابن فارس انها سميت بذلك لأنها مما يرجى منه زكاء المال، وهو زيادته ونهاؤه، قال سبحانه وتعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩].

فالزكاة احد السبل المهمة لمعالجة ظاهرة الفقر وهي ليست احسانا من الاغنياء على الفقراء وانما هي محددة ومفروضة في الشريعة الاسلامية وآثارها كبيرة في المجتمع فهي تحول دون ان يمد الانسان المحتاج يده للمال الحرام ويستطيع ان يسد حاجته بما يصل اليه من اموال الزكاة، وفي الوقت نفسه تساعد على اشاعة روح المحبة والتعاون والالفة بين افراد المجتمع.

❖ انتشار ظاهرة المعاملات الربوية:

الربا من المعاملات الاقتصادية المحرمة في الاسلام قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [العمران: ١٣٠]، فالربا له آثار سلبية شديدة الوطأة على المجتمع، لانه يؤدي الى انهاك وهلاك الشخص الذي يقترض الاموال عن طريق الربا ويتحمل جراء ذلك مبالغ اضافية وبمرور الوقت تتراكم الفوائد و يصبح غير قادر على سداد تلك المبالغ مما يدفعه الى سلوك طرق اخرى للتخلص من الديون التي ترتبت عليه مثل بيع ممتلكاته الخاصة ومنها على سبيل الفرض بيته الذي يأويه وعياله ويتحول الى حالة من الفقر المزرية.

يضاف الى ذلك، من آثاره السلبية هو اثاره المشاكل في المجتمع وقد يصل الأمر الى حوادث قتل او ايداء في حالة عدم تمكن المقرض من التسديد وبالتالي تؤدي هذه المشاكل الى زعزعة الاستقرار المجتمعي ويتطور الامر الى حدوث حالات الثأر والثأر المقابل وهي سمة من سمات العصر الجاهلي الذي كان فيه الربا منتشر على نطاق واسع ويعدونه كالبيع والشراء ولا اشكال فيه، فإشار القرآن الكريم الى ذلك بالقول: ﴿..... ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وقد ورد في المأثور عن رسول الله ﷺ وامامنا علي وبعض ائمتنا عليه السلام ذكر اسباب اخرى للفقر اهمها:

❖ قال رسول الله ﷺ: «الامانة تجلب الغنى والخيانة تجلب الفقر»^(٢٠) وفي هذا الحديث

دلالة واضحة بأن الاستقامة في الحياة ومن مصاديقها الوفاء بالعهود والمواثيق وعدم

.....الفقر وحيثياته في فلسفة الحكم عند الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

للجوء الى الخيانة تبارك في سعي ورزق الانسان في الدنيا وتجعله في غنى عن الحاجة للآخرين ومكتفيا بما رزقه الله وبذلك يبعده الله سبحانه وتعالى عن كل مظاهر الفقر في الدنيا مع جزاء الآخرة.

❖ قال الامام علي عليه السلام: «ان الاشياء لما ازدوجت، ازدوج الكسل والعجز معها، فنتج منها الفقر»^(٢١)، في هذا القول الشريف دلالة على ان الانسان حينما تشتبك عليه منغصات الحياة ويذوق مرارتها، يصل به الأمر الى مرحلة الكسل والشعور بعدم قدرته على العطاء، فيتحول من انسان منتج الى آخر كسول، وهذه بداية مرحلة من مراحل الفقر، فالحياة تتطلب منا الجهد والاجتهاد والسعي الحثيث من اجل تأمين سبل العيش بكرامة دون ان نجعل لليأس مكانا في داخلنا.

❖ قال الامام الباقر عليه السلام مخاطبا احد اصحابه: «لا تستأكل بنا الناس، فلا يزيدك الله بذلك الا فقرا»^(٢٢)، ومعنى الاستأكل ماورده المجلسي، اي لا تطلب اكل اموال الناس بوضع الاخبار الكاذبة في الائمة، او افتراء الاحكام ونسبتها اليهم عليه السلام.

❖ ومن وصايا المفضل في هذا الشأن: «لا تأكلوا الناس بأل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فاني سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: افترق الناس فينا على ثلاث فرق: فرقة احبونا بأنظار قائمنا ليصيبوا من دنيانا، فقالوا وحفظوا كلامنا وقصروا عن فعلنا فسيحشرهم الله الى النار، وفرقة احبونا وسمعوا كلامنا ولم يقصروا عن فعلنا، ليستأكلوا الناس بنا فيملاؤ الله بطونهم نارا يسלט عليهم الجوع والعطش، وفرقة احبونا وحفظوا قولنا واطاعوا امرنا ولم يخالفوا فعلنا فاولئك منا ونحن منهم»^(٢٣).

«المبحث الثالث»

الخطوات التي طبقها

الامام علي عليه السلام لتجنب الفقر

على الرغم مما اثير من لغط من جانب بعض الباحثين والمستشرقين في مقارنتهم بين ادارة الامام علي عليه السلام ومعاقبة للدولة وانحيازهم للأخير في كونه اداريا ناجحا باستخدامه المرونة السياسية والاقتصادية، إلا أن هذا الرأي لا يمت الى الحقيقة بشيء، والأصح ان معاوية قد استخدم الغدر والدهاء وسخر اموال المسلمين من اجل شراء ذمم الناس لكسبهم الى صفه. فعند دراسة شخصية الامام علي عليه السلام وتتبع خطواته الادارية في بناء الدولة الاسلامية عند توليه الخلافة نجد بوضوح انه قد اسس لدولة قائمة على اساس العدل والمساواة دون تفضيل مسلم على آخر وان كان ذميا، وبدأ بالتخطيط لتعظيم ايرادات الدولة تجنباً للفقر وشحة الاموال، واتخذ في ذلك عدة خطوات اهمها:

اولاً: الانتقال الى العراق واختيار موقع الكوفة عاصمة للخلافة

شكل انتقال الامام علي عليه السلام الى الكوفة حدثاً تأريخياً مهماً لم يتوقعه المسلمون في المدينة المنورة وقد كان الانتقال لأسباب داخلية وخارجية وقد عارضه بعض المقربين منه واصحابه ونصحوه بالبقاء في مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولسنا بصدد دراسة جميع تلك الاسباب في هذا البحث المتواضع، الذي يهمننا هو التركيز على السبب الاقتصادي لارتباطه الوثيق بالايرادات المادية للدولة.

سميت بالكوفة نسبة الى كوفان، اي في بلاء وشر، وقيل: سميت كوفة لانها قطعة من البلاد، من قول العرب: قد اعطيت فلانا كيفة اي قطعة، وقال جماعة انها سميت كوفة لموضعها من الارض وذلك ان كل رملة يخالطها حصباء تسمى كوفة^(٢٤) وارضها برية بحرية، وذكر بانها شيدت في رقعة من الارض سميت بـ(اللسان)، وهي تسمية نسبة الى لسان الصحراء الذي يطلق على ظهر الكوفة^(٢٥) لقد كان لموقع الكوفة اهمية اقتصادية كبيرة، فقد عبر عنها بقوله عليه السلام: «الْكُوفَةُ جُمُوعَةُ الْإِسْلَامِ وَكَثَرُ الْإِيَّانِ وَسَيَفُ اللَّهُ وَرُوحُهُ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ، وَأَيُّمَ اللَّهِ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ بِأَهْلِهَا فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا كَمَا انْتَصَرَ بِالْحِجَازِ»^(٢٦).

.....الفقر وحيثياته في فلسفة الحكم عند الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

وفي قول آخر له عليه السلام واصفا الكوفة بان فيها المال والرجال، في اشارة منه الى اهميتها الاقتصادية، اذ كان يروم من وراء ذلك الى تعظيم ارادات الدولة المالية كي تصبح قادرة على تحقيق متطلبات الرعاية مما يؤمن سبل العيش بكرامة وتجنب الفقر، فقد كانت الكوفة منطقة خصبة تحيط بها الاراضي الزراعية الخضراء، وقد اطلق على العراق في العصر الراشدي بأرض السواد لخضرة الارض وكثرة خيراتها، اضافة الى الارث الحضاري والديني لهذه المدينة المقدسة.

ثانيا: تطبيق الامام عليه السلام لمبدأ العدالة الاجتماعية

اتخذ الامام علي عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله قدوة في كل اعماله واجراءاته الادارية، فقد اقر على نفسه تطبيق العدالة الاجتماعية حرصا منه على تجنب التمييز الطبقي بين رعيته من المسلمين وعدم اغفال حقوق غير المسلمين كذلك، لذلك وجدناه عليه السلام كان يوزع العطاء بالتساوي بين المسلمين دون تمييز بين واحد وآخر، في حين ان عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان قد اتبعا سياسة التمييز في توزيع العطاء حسب القرابة من الرسول صلى الله عليه وآله والسابقة في الاسلام والحاجة، في حين عدل الامام عن تطبيق هذه الآلية عندما تولى الخلافة لاعتقاده بأنها لا تحقق العدالة والتوازن بين فئات المجتمع وتؤدي الى الطبقية والتمييز وافراز طبقة فقيرة غير قادرة على تأمين متطلبات الحياة، وبذلك تكون الدولة هي المسؤول الاول والاخير عن هذا الاخفاق في الجانب الاقتصادي، وعليه قرر الامام ان يتجاوز هذا الاجراء ويستبدله بأن يكون توزيع العطاء بالتساوي دون تمييز تحقيقا للعدالة الاجتماعية وتجنباً لانتشار الفقر بين طبقات المجتمع.

ومما قرأناه في المأثور عن عدالة امير المؤمنين عليه السلام في رواية كان عليه السلام يسير في السوق ومعه خازن بيت المال ويدعى علي بن ابي رافع، فلاحظ الامام شيخا كبيرا يستجدي الناس، فوقف عنده، والتفت الى الخازن فخاطبه بالقول: «ما هذا؟ - مستنكرا الحالة التي عليها الشيخ - قال يا امير المؤمنين هذا نصراني، فغضب الامام، وقال: استخدمتموه حتى افنتم شبابه، فلما شاخ وكبر تركتموه يستجدي الناس في الشارع، عيّن له عطاء من بيت المال»^(٢٧).

ويذكر ان الامام علي عليه السلام كان يفرق اموال بيت المال حسب ماتقتضيه الحاجة ويوزعها على مستحقيها في عشية كل خميس ثم يصلي في فيه ركعتين شكرا لله فلا تأتي الجمعة وفي بيت المال شيء، ويقول «اشهد لي يوم القيامة، اني لم احبس فيه المال على المسلمين»^(٢٨).

أ.د. حاتم كريم جواد.....

وبعدما ينتهي من هذه المهمة يشعر بالسعادة وراحة البال لاحتسائه بأنه قد أدى الامانة بأخلاص ودون استغلال لهذه الاموال في مصالحه الشخصية وفي الوقت نفسه لم يترك فقيرا يتلصق من الجوع دون ان يمد المساعدة اليه بما يملئ عليه واجبه الديني والانساني.
وكان عليه السلام يخاطب الدنيا بقوله: «يادنيا غري غري»^(٢٩) وأكد عليه السلام: «الا وأن اعطاء المال في غير حقه تبذير واسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة، ويكرمه في الناس ويهينه عند الله»^(٣٠).

وقد ابدى الامام عليه السلام اهتماما ملحوظا في الطبقة السفلى من المجتمع، ويظهر ذلك جليا في وصاياه لعماله بضرورة رعاية هذه الطبقة الضعيفة، فقد كتب لملك الاشتر: «انظر الى مااجتمع عندك من مال الله، فاصرفه الى قبلك من ذوي العيال والمجاعة، مصيبا به موضع الفاقة والخلاّت، ومافضل عن ذلك فاحمله الينا لنقسمه فيمن قبلنا»^(٣١).
وفي خطاب وجهه لملك الاشتر جاء فيه: «اعلم ان الرعية طبقات... ثم الطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة، الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفيئ الله لكل سعة، ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه»^(٣٢).

ثالثا: ترشيد الاستهلاك وعدم التبذير:

شدد الامام علي عليه السلام على ضرورة ترشيد الاستهلاك على نطاق الدولة وافراد المجتمع لأن ذلك سوف يعزز من متانة الاقتصاد وادامة القدرة على المصروفات وبعكسه من الممكن ان تنفذ الواردات بوقت قصير وتصبح الدولة أو افراد المجتمع في موقف صعب ويؤدي ذلك الى فقر الدولة والمجتمع.

هناك العديد من الشواهد التاريخية التي تؤكد حرص الامام علي عليه السلام على ترشيد الاستهلاك عندما كان خليفة للمسلمين، منها حادثة اطفاء السراج في بيت المال لدى دخول طلحة والزبير عليه وقت وجود الامام هناك وأمر باحضار سراج آخر من بيته، فسألاه عن السبب، فقال: «كان زيتي من بيت المال، لا ينبغي ان نصابكم في ضوئه»^(٣٣).

وفي زماننا هذا نرى ونسمع العجب العجاب من استئثار اصحاب السلطة والنفوذ بموارد الدولة والاستحواذ على مقدرات الوطن بشتى الصور والحجج والباطيل ويصل الأمر في احيان كثيرة تجري هذه الامور تحت طائلة القانون والمحسن المبكي ان هؤلاء يتشدقون ويتخذون من سيرة امير المؤمنين عليه السلام شعارا وهم ابعد ما يكون من ذلك.

.....الفقر وحيثياته في فلسفة الحكم عند الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

اما الشاهد الآخر على ترشيد الاستهلاك هو توجيه امير المؤمنين عليه السلام لكتابه بقوله: «ادقوا اقلامكم، وقاربوا بين سطوركم، واحذفوا عني فضولكم، واقصدوا قصد المعاني، واياكم والاكثر، فأَنْ اموال المسلمين لاَ تحتل الضرر»^(٣٤).

وهنا شدد امير المؤمنين عليه السلام بضرورة تقريب سطور الكتابة حتى يتم تقليص عدد الاوراق المستخدمة الى نسبة قد تصل الى النصف او اقل من ذلك بقليل، وفي هذا الاجراء قمة في ترشيد الاستهلاك، اذ وصل فكر امير المؤمنين الثاقب الى هذه الجزئية البسيطة بظاهرها، العميقة بمعناها، مما يغيب عن بال الكثيرين لضعف اهمية هذا الاجراء الذي يبدو غير مهم وغير نافع، بينما لو حسبت النتائج المترتبة عليه خلال السنة الواحدة لتبين ان تكلفة الورق المستخدم في التعاملات الادارية ستخفض الى نسبة كبيرة قياسا بما كان قبل هذا الاجراء.

رابعا: تطبيق نظام الضمان الاجتماعي

يعد الضمان الاجتماعي في الاسلام احد حقوق الانسان المفروضة من الله سبحانه وتعالى، وهو بوصفه حقا انسانيا لايتفاوت باختلاف الظروف والمستويات المدنية^(٣٥).

والضمان الاجتماعي في الاسلام هو ان يكون الفرد في خدمة المجتمع، كما عبر عنه الرسول الكريم ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(٣٦).

اشرنا في صفحة سابقة الى حادثة الرجل النصراني الذي خصص له الامام علي عليه السلام راتبا من بيت المال، وتعد هذه الخطوة اساسا مهما من اسس الضمان الاجتماعي اضافة الى مبادئ اخرى قد دعى الى تطبيقها عليه السلام.

طبق الامام عليه السلام اسس الضمان الاجتماعي كما اقرها الاسلام، ومنها:

❖ كفالة الزوج لنفقات زوجته

❖ كفالة الابن لنفقات والديه ماداموا محتاجين اليه

❖ كفالة الاب لنفقات اولاد

اذ يشكل (الزوجات والآباء والابناء) نسبة الاكثرية في المجتمع، لذلك نجد ان امير المؤمنين عليه السلام قد طوق مشكلة الفقر وحاصرها للقضاء عليها^(٣٧).

أ.د. حاتم كريم جواد.....

وحسب توجيهات امير المؤمنين عليه السلام فقد اكد على ايجاد فرص عمل للفقراء والمحرومين وبذلك يسمح للأفراد بكسب دخل جيد والعيش بكرامة، ويجعل منه في الوقت نفسه عاملاً اقتصادياً نشيطاً ينفع المجتمع^(٣٨).

لقد رسم الامام عليه السلام آلية للضمان الاجتماعي ونقله من النظرية المثالية الى الواقع الملموس عند تحديده لطبقة الفقراء وغيرهم من الطبقات الاجتماعية المستفيدة من الضمان الاجتماعي بقوله: الله الله في الطبقة السفلى الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين واهل البؤس شديدي الفقر) والزمنى (ذوي العاهات) فان في هذه الطبقة قانعا سائلاً) ومعتمراً (المتعرض للعطاء) بلا سؤال، واحفظ ما استخلفك من حقه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت المال من غلات (الثمرات)^(٣٩).

.....الفقر وحيثياته في فلسفة الحكم عند الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

الخاتمة

من خلال ماتقدم من عرض موجز لموضوع البحث يمكن ايجاز اهم النقاط التي ينبغي الوقوف عندها والتركيز عليها بغية الفائدة والتماس الموعضة من سيرة سيدي ومولاي امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ويمكن ايجازها بما يلي:

اولا: تمثل رؤية الامام علي عليه السلام للفقر انموذجا فريدا من نوعه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله على نطاق تاريخ الحكم والحكام في الاسلام.

ثانيا: يُعد الامام عليه السلام اول مسلم يذكر اسمه في القرآن قد اهتم بالفقراء وتصدق عليهم في اثناء الصلاة في حادثة لم يسبقه فيها مسلم آخر وكما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

ثالثا: كرس الامام عليه السلام جل اهتمامه لرعاية الفقراء حينما تولى الخلافة بأيجاده السبل الكفيلة للنهوض بواقع الفقراء ورعايتهم.

رابعا: شكلت وصاياه وخطبه وتوجيهاته عليه السلام عامة والتي تتعلق بالفقر خاصة بمثابة دستور لتنظيم الحياة لو استفاد منها الحكام وعماهم في مختلف الازمنة لما بقي فقير على وجه المعمورة، ولكن للأسف اضحت شعارات يتشدد بها مدعوا الولاء لامير المؤمنين عليه السلام دون تطبيق.

خامسا: يعد الامام علي عليه السلام انزه حاكم في التاريخ اذ لم يستأثر بأموال بيت مال المسلمين، وما حادثة اطفاء للسراج التي اشرنا لها في البحث الا دليلا على سياسته الحكيمة في ترشيد الاستهلاك تجنباً للفقر الذي ينتج عن البذخ احيانا.

سادسا: شخص الامام علي عليه السلام الاسباب المؤدية للفقر واتخذ التدابير اللازمة لتفاديها منذ توليه الخلافة واختياره الكوفة عاصمة، مما يؤكد رؤيته الاقتصادية المستقبلية للأمر مما يرفع من اقتصاديات الدولة وبالتالي تصبح دولة غنية قادرة على تحسين مستوى دخل الافراد والحد من بروز مشكلة الفقر.

هوامش البحث

- (١) ابراهيم انيس وآخرون، المعجم الوسيط، نشر مجمع اللغة العربية. باب الفاء
- (٢) ابو النصر، عصام، دور الزكاة في معالجة المشكلات الاقتصادية، ص ١٧٢
- 3) Word Reference Random House Learners Dictionary of American English، 2022
- (٤) الاعرجي، زهير، الامام علي عليه السلام السيرة الذاتية والاجتماعية، ٧٩٩-٨٠٠.
- (٥) الاعرجي، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (٦) نهج البلاغة، القصار من حكم الامام علي، ص ٦٣٨.
- (٧) نهج البلاغة: ٤٧٨.
- (٨) الكليني، الكافي ١ / ١١، حديث ٨.
- (٩) المجلسي، بحار الانوار ٦٩ / ٣٠.
- (١٠) الآمدي، غرر الحكم / ٢٩٦٥.
- (١١) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (١٢) النمازي، علي الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار ٥ / ٣٨.
- (١٣) السبزواري، جامع الأخبار، ١٤ / ٣٠٠.
- (١٤) الخوئي، منهاج البراعة / ٣٣٩.
- (١٥) المجلسي، بحار الانوار ٦٩ / ٤٦.
- (١٦) الشيخ الصدوق، جامع الاخبار / ٨١٨.
- (١٧) الآمدي، عبدالواحد بن محمد التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم / ٣٦٩.
- (١٨) الكراجي، ابو الفتح، كنز الفوائد ٢ / ٦٦.
- (١٩) المجلسي، بحار الانوار ١١ / ٧٢، الكليني، الكافي ٢ / ٢٦٤.
- (٢٠) المجلسي، البحار ٦ / ٣١٦.
- (٢١) الحرائي، تحف العقول / ٢٢٠.
- (٢٢) المجلسي، البحار ١١ / ٧٨ / ١٨٤.
- (٢٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤ / ٤٩٢.
- (٢٤) الدينوري، الأخبار الطوال / ١٣٠.

.....الفقر وحيثياته في فلسفة الحكم عند الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

- (٢٥) المجلسي، بحار الانوار ٦٢ / ١٧٢ .
- (٢٦) العاملي، وسائل الشيعة ١١ / ٤٩ .
- (٢٧) السيوطي، تاريخ الخلفاء / ٢١٣ .
- (٢٨) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الاصحاب ٣ / ٢١٠ .
- (٢٩) بيضون، لبيب، تصنيف نهج البلاغة / ٧٣ .
- (٣٠) المجلسي، بحار الانوار ٣٣ / ١٠ .
- (٣١) الحراني، تحف العقول / ٣٢ .
- (٣٢) التستري، نور الله المرعشي، احقاق الحق وازهاق الباطل ٨ / ٥٣٩ .
- (٣٣) المجلسي، بحار الانوار ٤١ / ١٠٥ .
- (٣٤) الصدر، محمد باقر، المدرسة الاسلامية / ١٨٠ .
- (٣٥) البخاري، الصحيح، حديث ٦٠١١، مسلم، الصحيح، حديث ٢٥٨٦ .
- (٣٦) فاضل عبد العباس محمد، المعالجات الانسانية للفقر ص ٣٧٦ .
- (٣٧) الابراهيمي، عبد الحميد، العدالة الاجتماعية ص ١٦٠ .
- (٣٨) غسان السعد، حقوق الانسان عند الامام علي عليه السلام، ص ٣٥٢ .

المصادر والمراجع

- ❖ الابراهيمى، عبد الحميد، العدالة الاجتماعية والتنمية في الاقتصاد الاسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - ١٩٧٧.
- ❖ ابراهيم انيس وآخرون، المعجم الوسيط، نشر مجمع اللغة العربية، القاهرة - ٢٠١٢.
- ❖ الآمدي، عبد الواحد بن محمد التميمي (ت ٥٥٠ هـ)، غرر الحكم ودرر الكلم، دار الهادي، بيروت - ٢٠١٥.
- ❖ البخاري، ابو عبدالله محمد بن اسماعيل (٢٥٦ هـ)، الصحيح، الطبعة السلطانية، مصر - ١٣١١ هـ.
- ❖ بيضون، لبيب، تصنيف نهج البلاغة، مكتب النشر الاسلامي، د.م، ٢٠١٦.
- ❖ التسري، نور الله الحسيني المرعشي، احقاق الحق وازهاق الباطل، المكتبة الاسلامية، طهران - ١٣٩٦.
- ❖ الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، تحقيق علي اكبر الغفاري، ط ٢، مؤسسة النشر الاسلامي - ١٤٠٤.
- ❖ الخوئي: الميرزا حبيب الله الهاشمي (١٩٩٢)، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تحقيق علي عاشور، د. ت.
- ❖ الدينوري، ابو حنيفة احمد بن علي (ت ٢٨٢)، الاخبار الطوال، تحقيق عبدالمنعم عامر، دار احياء الكتب العربية، د. ت.
- ❖ السبزواري، الشيخ محمد بن محمد، جامع الأخبار او معارج اليقين واصل الدين، تحقيق علاء ال جعفر مؤسسة آل البيت لأحياء التراث، قم، د. ت.
- ❖ السعد، غسان، حقوق الانسان عند الامام علي عليه السلام بن ابي طالب رؤية علمية، د. م، ٢٠٠٨.
- ❖ السيوطي، جلال الدين بن عبدالرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١ هـ)، تاريخ الخلفاء، دار الكتب العلمية، بيروت - ٢٠١٠.
- ❖ الشيخ الصدوق، محمد بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، جامع الاحبار، تحقيق علي اكبر الغفاري، مؤسسة النشر الاسلامي، قم - ١٣٧٩ هـ.

.....الفقر وحيثياته في فلسفة الحكم عند الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

- ❖ الصدر، محمد باقر، المدرسة الاسلامية، مركز الابحاث، ط ١، د. م، ١٤٢٤ هـ.
- ❖ فاضل عبدالعباس محمد، المعالجات الانسانية للفقر في ضوء القيادة الادارية الاخلاقية لأمر المؤمنين عليه السلام بحث منشور في مجلة مرايا، النجف - ٢٠٢٣.
- ❖ العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤ هـ)، وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث، د. م. ١٤١٤ هـ ابن عبدالبر، ابو عمر يوسف بن عبد اله بن محمد (ت ٤٦٣ هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ط ١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢ / ١٩٩٢.
- الاعرجي، زهير الاعرجي، الامام علي عليه السلام السيرة الذاتية والاجتماعية، جواثا للنشر، لبنان - بيروت ١٤٢٩ / ٢٠٠٨.
- ❖ الكراجي، ابو الفتح (ت ٤٤٩ هـ)، كنز الفوائد، مؤسسة احياء الفكر الشيعي، ط ٢ - ١٣٦٩.
- ❖ الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩ هـ)، مطبعة الخيام، قم - ١٤٠٣ / ١٩٨٢ م.
- ❖ النمازي، علي الشاهرودي، مستدرک سفينة البحار، قم - ١٩٩٨.
- ❖ ابو النصر، عصام، دور الزكاة في معالجة المشكلات الاقتصادية المعاصرة، المؤتمر الاول للجمعية المصرية، القاهرة - ٢٠١٢.
- ❖ نهج البلاغة، ماختره الشريف الرضي من كلام امير المؤمنين، تحقيق صبحي الصالح قم، دار الهجرة -، ١٤١٩.
- ❖ ياقوت الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي (ت ٦٢٦ هـ)، معجم البلدان بيروت، دار صادر ١٤٠٢.

مصدر باللغة الانكليزية

- ❖ Word Reference Random House Learners Dictionary of American English ,2022

